–بيير زيما و سوسيولوجيا النص الأدبي

يمكن اعتبار الناقد التشيكي الأصل "بيير زيما" أهم من أرسى الأسس الكبرى لسوسيولوجيا النص ، و من أبرز من رسم ملامحه و معالمه المميزة ، و قد حرص هذا الناقد على الاستفادة من مناهج كثيرة مثل : السيميائية، و البنوية ،و التحليل النفسي، و نظرية القراءة ،و مدرسة فرانكفورت النقدية ...و على الرغم من رفضه الكثير من الأسس الفلسفية لهذه المناهج فإنه اتخذ منها منطلقات في تشييد مشروعه النقدي الخاص ، و سعى إلى أن تبدو بصماته واضحة في كتاباته المؤسسة لهذا المشروع [1].

1–لماذا النقد الاجتماعي للنص .

استعمل زيما مصطلح النقد الاجتماعي للنصوص ،و بين أنه اختاره لسببين: أولهما هو التمييز عن علم اجتماع الأدب الإمبريقي ، و يقصد بذلك النقد الوضعي كما تجلى في أعمال مدام دي ستيال ، و بين روبرت اسكاربيه .و و ثانيهما الرغبة في تقديم نقد اجتماعي للنصوص يتطلع إلى أن يصبح علم اجتماع للنص الأدبي [2].

و يتماثل عنده مصطلح النقد الاجتماعي للنصوص مع علم اجتماع النص ، فهما مترادفان ، و يبدو أن الأول أكثر تداولا لسهولته فقط.

2–علم اجتماع النص :

يقول عن علم اجتماع النص الأدبي " إن علم اجتماع النص بمفهومه هنا لا يستطيع اتخاذ المفهوم التقليدي للشكل ، و الذي له تضمينات مثالية و ميتافيزيقية ،بل عليه أن يتجاوز حدود

---

[1]-عبد الوهاب شعلان ، المنهج الاجتماعي و تحولاته ، ص103.

[2]-المرجع نفسه ، ص103.

الخطاب الجمالي ، و تقديم المستويات النصية المختلفة كبنى لغوية و اجتماعية في نفس الوقت خاصة المستويات الدلالية و التركيبية (السردية) ، و علاقاتها الجدلية "[3].

يرى في إطار الإجراءات الاجتماعية للتحليل النصي وجوب تصوير العالم الاجتماعي لمجموعة من اللغات الاجتماعية التي تحولها النصوص الأدبية ."و في هذه الحالة يجب التركيز في المنهج على مسألة ما إذا كان من الممكن وصف العلاقة بين النص الأدبي و سياقه الاجتماعي على المستوى الإمبريقي، و لا يتحقق وصف كهذا إلا إذا ظهر الأدب و المجتمع في منظور لغوي "[4].

لا تستند دراسات الماركسيين لوكاتش و غولدمان إلى علاقات إمبريقية يمكن إثباتها ، فهي غير مقنعة له، لذلك يرى بضرورة إعطاء الأهمية للخاصية اللغوية و الخطابية الإيديولوجيا، و هذه الخاصية أهملت في النظريات الماركسية التقليدية التي لم تجب عن العلاقة التفاعلية بين الأدب و المجتمع على مستوى اللغة.

و هو بهذا المفهوم ينتقد علم الاجتماع التجريبي الأدبي الذي حصر اهتمامه فقط في العناصر الخارجة عن الأدب ، و هو يرفض أيضا أن تفسر النصوص وفق الأسلوب الذي اتبعه لوكاتش .كما انتقد سوسيولوجيا المضامين التي تعاملت مع النص الأدبي كوثيقة تاريخية .كما عارض زيما مفهوم البنية الدالة عند لوسيان غولدمان .و بالمقابل فقد اهتم بمنظور المدرسة الشكلانية للنص الأدبي و اهتمامها البالغ ببنية الداخلية.

يرى زيما أنه من الضروري أن يرتبط الناقد بالنص المدروس حتى يصبح بإمكانه السير في ركاب النظرية السوسيولوجية الأدبية ، و قد سار هو نفسه على خطى الكاتب الألماني تيودور أدورنو .لذلك أكد على أنه ينبغي دائما أن نعرف أن النسق اللغوي هو مجال تلتقي فيه المصالح الاجتماعية . و هو هنا يقترب من مفهوم النص عند باختين عندما دعا إلى عدم الفصل بين الدلالة الأيدلوجية للنص و

---

[3]-**بيير زيما ،النقد الاجتماعي ،نحوعلم اجتماع للنص الأدبي،ص171.**

[4]-**المرجع نفسه ،ص172.**

بين بنيته اللسانية ، و هو يتجاوز باختين عندما يعد النص بمثابة ملتقى نصوص إيديولوجية متعارضة .

انتقد بيير زيما باختين ،كما انتقد كريستيفا لأنهما لم يضعا النص الأدبي ضمن ما أسماه بالوضعية السوسيولسانية .و يقصد بهذا المصطلح الذي يقترب معناه من مصطلح سوسيو لهجية عند غريماس بلغة متخصصة و تقنية ، و ليس بنية إيديولوجية معبرة عن مصالح سوسيو اقتصادية في وضعية اجتماعية معينة .لقد عاد "زيما" للفكر الجدلي كما تسلح بالمعطيات اللسانية.واستفاد من سوسيولوجيا النص الأوائل و في مقدمتهم باختين[5] . و كان هدفه من كل ذلك هو اكتشاف القضايا الاجتماعية و المصالح الجماعية ،و كيفية تجسيدها في النص على المستوى الدلالي، و التركيبي و السردي .

3–منهجه:

انطلق زيما في تحليله للنص الأدبي من سؤال جوهري ،و هو كيف يتفاعل النص الأدبي مع المشكلات الاجتماعية و التاريخية على مستوى اللغة؟.

كانت إجابته أن الخطوة الأولى في التحليل هي تحديد البنية الجمالية أو البنية الدلالية بمفهوم غولدمان ، و ذلك من خلال الإلمام بكافة اللهجات الاجتماعية و التاريخية الجماعية المكونة لعالم النص الاجتماعي ؛ و التي تتجلى بأشكال مختلفة في البني الدلالية و السردية .

أن الوضع الاجتماعي –اللغوي هو ذلك الإطار الذي تتمظهر فيه اللغة بوصفها نظاما تاريخيا ، و ليس مجرد صيغ ثابتة ، و يمكن أن نفهم من خلال التغيرات اللفظية و الدلالية و التركيبية في ضوء الصراعات بين الزمر الاجتماعية ، و من ثمة بين اللهجات الجماعية المشكلة للفضاء الاجتماعي للنص .

إن المجتمع عنده قائم على صراع ينعكس على لغاته و لهجاته ، و اللهجة عنده هي خطاب له دلالة مؤسس على نظام له حمولة إيديولوجيه .و هذا الخطاب أسهم في التطور التاريخي للغة ، فقد

---

[5]-**حميد لحميداني ، ص87/85.**

أنتج كلمات جديدة على مستوى المعجم ، و خطابات جديدة على مستوى التركيب ، و تعارضات دلالية على مستوى الشفرة ، و على هذا الأساس فاللهجة لها أبعاد ثلاثة ،هي :

-البعد المعجمي الخاص بمجموعات اجتماعية معينة .

-الشفرة باعتبارها أساسا دلاليا.

-البنى الخطابية التي تحققها ذات فردية أو اجتماعية في إطار لهجة جماعية[6].

بهذا المنظور فإن زيما يلتقي مع باختين في فكرة أن الإيديولوجيا تقدم في النص في شكل قضايا لسانية ، و لكن المهم عند زيما ليس الطابع التصوري للإديولوجيا ، بل الطابع الإجرائي و المنهجي فالايدولوجيا عنده تدرك كبينة دلالية و تركيبية و خطابية.[7]

و فيما يلي بسط لمنهجه حسب ما أورده في كتابه النقد الاجتماعي:

1-علم الدلالة و التركيب كوظائف اجتماعية :

يشير إلى اهتمام رولان بارط بالوظائف الثقافية و الإيديولوجية لتركيب الجملة و بخاصة لوحدة الجملة ، و ذلك تمهيدا لاهتمامه بالوظيفة الاجتماعية و الإيديولوجية للجملة، و خاصة البنى التركيبية الكبيرة ،وبالأخص السردية لأنها " تشكل عالما متجانسا نسبيا ، إنها تحاكي و تعيد إنتاج الواقع و تتماثل أحيانا بشكل ضمني أو صريح مع هذا الواقع "

يجب أن نتساءل عن موقف الراوي تجاه خطابها بوصفه بناء دلاليا و تركيبيا ، أو يجسد مصالح فردية و اجتماعية ؛ بمعنى أن موضوع النقد لا بد أن يستوعب العلاقة بين الدلالة و التركيب السردي بعيدا عن دراسات جينيت و بريموند التي لا تهتم ، أو لا تراعي المضامين الإيديولوجية للبنى السردية على عكس علم الدلالة البنوي، و نظريات كريستيفا، و إيكو ، و بورديو . فإنها تسمح بوصف العلاقة بين الأدب و المجتمع ، و بتعريف الإيديولوجيا على المستوى الخطابي .

---

[6]-عبد الوهاب شعلان ، المنهج الاجتماعي و تحولاته ، ص115.

[7]-المرجع نفسه ، ص116.

أ-المستوى المعجمي و الدلالي :

يرى أنه من الصعوبة وصف العلاقات بين اللغة و المجتمع على المستوى المعجمي البحت لأن علم المعاجم هو علم إمبريقي تجريبي مداه محدود جدا ، و الكشف عن المصالح الاجتماعية و الجماعية، فباللغة يمكن تقديمه بشكل أوضح في مجال الدلالة ، ويمكن هنا الإشارة إلى بعض النظريات اللغوية لكريس و هودج .

ب-المستوى السردي :

يشير إلى بروب و غريماس كانطلاقة لدراسة البنية الدلالية "بالنسبة لعلم اجتماع النص هناك مظهر لعلم الدلالة البنوي يعتبر مهما بشكل خاص ، و هو أن النصوص النظرية أو الإيديولوجية أو الدينية يمكن تقديمها مثلها مثل النصوص الأدبية بواسطة نماذج فاعلية "[8].كما يشيد هنا بالنموذج الفاعلي الذي قدمه غريماس، و الذي قدم من خلاله خطابين إيديولوجيين على مستوى الفواعل ،و هما خطاب الفلسفة الكلاسيكية، و خطاب الإيديولوجية الماركسية ، و قدمه على هذا النحو :

ذات	فيلسوف
موضوع	عالم
مرسل ا	الله
مرسل إليه	انسانية
معارض	مادة
مساعد	روح

يقدم هذا النموذج عالم الفيلسوف في القرون الكلاسيكية بناء على علاقة الرغبة في المعرفة .أما بالنسبة للمناضل في الإيديولوجية الماركسية بناء على الرغبة في مساعدة الإنسان يكون كالآتي :

[8]-**المرجع السابق ، ص180.**

ذات	إنسان
موضوع	مجتمع دون طبقات
مرسل	تاريخ
مرسل إليه	إنسانية
معارض	كبقة بورجوازية
مساعد	طبقة عمالية

و على الرغم من فاعلية هذا النموذج إلا أنه في علم اجتماع النص يحتاج إلى مفاهيم لغوية و سيميائية .إن هدف زيما هو الإمساك بالازدواج الدلالي السائد في السرد ، و ذلك على ضوء اللامبالاة الاجتماعية و اللغوية التي أظهرت تقابلات ثنائية الخير /الشر - البطل /البطل المضاد.

2-الوضع اللغوي الاجتماعي :

يجب تقديم العالم الاجتماعي كمجموع لغات اجتماعية تظهر في أشكال مختلفة في البنى الدلالية و السردية للتخييل "[9].سيستعين زيما هنا بنموذجين هما : نموذج موكاروفسكي ممثل البنوية التشيكوسلوفاكية الذي يرى أنه من الممكن تقسيم لغة مجتمع معين في لحظة تاريخية معينة إلى لغات جماعية و إقليمية متعددة " فهو ينطلق من فكرة أن العلاقة بين الأدب و المجتمع تظهر على المستوى اللغوي ،و طبق ذلك على الكاتب التشيكي جان نيرودا الذي ظهر في كتاباته الأسلوب الشعري الذي جمع فيه أكثر من لهجة لغوية . و بذلك ظهرت في كتاباته تعارض بين المدنية و الريف على المستوى اللغوي .

أما النموذج الثاني الذي سيستعين به فهو نموذج ميخائيل باختين و قولوشينوف اللذين قالا بأن الكلمة تحمل معنى إيديولوجي ، و قد خلصا لسانيات دي سوسير من الفردية المرتبطة بالعقلانية الديكارتية و تجاوزاها باتجاه لغويات الملفوظ التي تقوم على فكرة أن كل ملفوظ يشكل جزءا بشكل

[9]-**المرجع السابق،ص183.**

ضمني أو صريح من حوار واسع بين جماعات ، يمكن لمصالحها و رؤاها للعالم أن تدخل في صراع .ثم انطلاقا من "مار" تساءل عن وجود لغات طبقية، يقول بعدما يرى أنه لا يوجد مجتمع متجانس بالإطلاق " الطبقة الاجتماعية في حد ذاتها هي مجموع أوسع و أعقد في الوقت نفسه، من أن يمكن أن ينسب إليها لغة متجانسة ، و عالم دلالي واحد."[10]

و مع ذلك يمكن أن توجد لغات جماعية داخل الطبقة البورجوازية ، مثلا نجد خطابات ليبرالية ضد الكنيسة ، اشتراكية، أو الصحافة البورجوازية التي تتزاحم فيها الخطابات البورجوازية الرجعية ، الاشتراكية .و تبدو غير متجانسة .و علم الاجتماع سيهتم بالأساليب المختلفة للمعلقين الصحفيين و النقاد لتصنيف الأحداث الاجتماعية . و قد أشاد ببورديو فهو يراه حلل بشكل منظم المظاهر المؤسسية للغة .

كما أشاد بدراسة "جان بيير فاي" التي دعا فيها إلى إعادة خلق تاريخ الشعب الألماني على المستوى الخطابي مع وضع ثنائيات جديدة متعارضة (الجنس الآري = الجنس غير الآري " يجب الحذر من تنبي منظور يكون فيه المجتمع خارج الخطاب :خارج الدلالة و تركيب الجملة "[11].

يمكن أن نستنتج من التحليلات السابقة أن اللغة الجماعية لهجة جماعية ليست دائما نتاج جماعة واحدة، و لكنها يمكن أن تنشأ على تخوم جماعتين، أو طبقتين لهما لأسباب اقتصادية و سياسية مصالح و قضايا مشتركة ."[12].

" يمكن أن نقول أن اللغة تظهر في إطار علم اجتماع النص كنظام تاريخي يمكن أن نشرح تغيراته (اللفظية الدلالية التركيبية) في الضوء الصراعات بين الجماعات الاجتماعية، و من ثم بين لغات جماعية لهجات جماعية تم إخضاعها بشكل ما بوضوح للمؤسسة ".و سيوضح هذا الصفة التاريخية المتغيرة و الاجتماعية للغة .

---

[10]-المرجع نفسه ، ص188.

[11]-المرجع نفسه ، ص189.

[12]-المرجع نفسه ، ص190.

3-لهجات جماعية و خطابات :

يستبدل مصطلح الملفوظ عند باختين بمصطلح خطاب ، لأن الأول ينضوي على مفاهيم فلسفية و يحاول توضيح تمييز لهجة جماعية عن خطاب .

أ- لهجات جماعية :

يمكن اعتبار المجتمع كمجموعة جماعات متعادية بشكل ما ، يمكن للغاتها (لهجاتها الجماعية) أن تدخل في صراع مع بعضها البعض ، و هذا لا يعني اختزال الوقائع الاجتماعية إلى ظواهر نصية بل يجب إظهار المشاكل و المصالح الاجتماعية على المستوى اللغوي دون اللجوء إلى مفاهيم المحتوى الاجتماعي ، أو رؤيا العالم ، و إنما بالتركيز على سياق سيميوطيقي يوضع في علاقة مع مفاهيم الخطاب و اللهجة الجماعية ،و يمكن تجسيدها على ثلاثة مستويات مكملة لبعضها البعض لها بعد معجمي و بعد دلالي و بعد تركيبي أو سردي ."[13]

تظهر البينة السردية على شكل خطاب لها بعد لفظي بمعنى تتكون من كلمات لها دلالة تظهر لهجة ما مثل : فرد حرية ،و استقلال ،و مسؤولية تم تمييز من خلالها لهجة جماعة ليبرالية ، ماركسية، فاشية .و يجب هنا أن لا نخلط بين مفهوم القاموس المهني، أو اللغة التقنية مع مفهوم لهجة الجماعة ،لأن القواميس تضم مجموع لهجات متنافسه ، و متعارضة، و غير متوافقة.

و يظهر مفهوم اللهجة الجماعية عند غريماس مرتبطا بمصطلح الدور الاجتماعي (دور المهندس و ،الطبيب،و المحامي...).أما هذا المفهوم عند باختين فهو لغة إيديولوجية تعبر على المستويات المعجمية ، والدلالية ، و التركيبية عن مصالح جماعة معينة.يمكن تعريف اللهجة الجماعية عند زيما "على أنها فهرست معجمي له شفرة ، أي مبني حسب قوانين التصاق (أو أنظمة تصديق) جماعي خاصة "[14].وتتشكل الشفرة الدلالية للهجة من التعارضات، و الاختلافات النابعة من تصنيف معين

---

[13]-المرجع نفسه ،ص191.

[14]-المرجع نفسه ، ص196.

باعتبارها نظاما ".تحمل كل لهجة خطاب الذي هو " وحدة جملية تشكل بنيتها الدلالية (بوصفها بنية عميقة) جزءا من شفرة، و تنطلق من لهجة جماعية يمكن لمسارها التركيبي أن يقدم بمساعدة نموذج فاعلي (سردي).[15]".

بمعنى أنه لا توجد اللهجة منفصلة عن تجسيداتها الخطابية التي يمكن أن تتخذ أشكالا على قدر من التباين و التعارض بدءا من الشفرات ،و قوائم معجمية متجانسة نسبيا .و تعرف اللهجة انطلاقا من مظاهرها الأساسية الثلاثة :الفهرس المعجمي، و الشفرة (الالتصاق أو أنظمة التصديق و التصنيف) ، و التجسيد الخطابي. هذا هو المظهر الإمبريقي للهجة الجماعية التي هي في حد ذاتها ليست إلا بناء نظريا،أي فرضية حول الواقع . يمكن تمييز الإيديولوجية انطلاقا من الموقف الذي تتبناه ذات التلفظ تجاه خطابها الخاص تجاه خطابات الآخرين ،و تجاه الواقع الإمبريقي "[16].

تقدم الإيديولوجية على المستوى اللغوي (الخطابي) ليس فقط من أجل تمييزها عن النظرية بل من أجل إمكانية وضعها في علاقة مع النص الأدبي على مستوى التناص .

4-التناص كمقولة اجتماعية :

لا يمكن شرح الإيديولوجيات في الرواية مثلا إلا عن طريق تصوير الإيديولوجيات كلغات لها وجود إمبريقي في النص يمكن وصفه .لذلك فإن عالم التخييل يظهر من منظور على اجتماع النص لعملية التناص كعملية امتصاص من جانب النص الأدبي للغات الجماعية، و الخطابات الشفهية، أو المكتوبة التخيلية النظرية السياسية أو الدينية .يذكر الناقد هنا بدراستين حول التناص هما: لباختين و كريستيفا.

[15]-المرجع نفسه ،ص197.

[16]-المرجع نفسه ،ص203.

لدراسة التناص- من منظوره - وجب " وضع النص الأدبي في وضع لغوي اجتماعي كما عاشه الكاتب و جماعته الاجتماعية ...فإنه من المهم إظهار كيف إن الاستيعاب التناصي للغات الجماعية و الخطابات يولد بنية أدبية خاصة "[17].

لا ينحصر التحليل التناصي في الاستشهادات، و لا علاقة له بالتحليل البلاغي الذي يستهدف تقنيات كتابة ما ." يجب أن يلقي الضوء على النص الأدبي في سياق حواري أي بالمقارنة مع الأشكال الخطابية التي يتفاعل عن طريق استيعابها، و تحويلها ، و محاكاتها الساخرة "[18].و ذلك حتى نتمكن من شرح أبنية النص الدلالية و السردية ؛ أي ابتداء من هذه الأشكال الخطابية فمثلا: عالم كامو لا ينفصل عن الخطاب الإنساني المسيحي ، يعني يكون التناص نقد للخطابات الإيديولوجية الموظفة- من خلال نص سردي تأملي و ساخر- التي هي نتاج لأزمة قيم في مجتمع معين، و من هنا يكون الربط بين النص الأدبي و السياق الاجتماعي على المستوى الخطابي و اللغوي ، يعني وجود مثلا خطابات ساخرة ضد الخطابات الفاشية، أو الكهنوتية المحافظة الاشتراكية، و الهدف هو معارضتها ، أو التشكيك في مصداقيتها.

4-الرواية و الإيديولوجيا :

اهتم زيما بالرواية بشكل خاص، و انصبت أعماله حول روائيي الحداثة مثل بروست، كافكا و كامي ، و سارتر ، و قد حاول من خلالها استيعاب التحولات السيوسيوثقافية، و انعكاسها جماليا و لغويا في النص السردي ، و يسجل هنا أنه سعى إلى تطوير مفاهيم خاصة مفهوم البنية الدالة ، و رؤيا العالم.[19]

---

[17]-المرجع نفسه ،ص04.

[18]-المرجع نفسه ،ص204.

[19]-المرجع نفسه

طرح سؤالا جوهرا يتمثل في كيف نصف وضعا اجتماعيا– لغويا؟ .و كانت الإجابة أنه ينبغي توضيح فقط الوضع الاجتماعي للغة كما عايشه الكاتب المعني ، و معارفه من الكتاب الذي انتقدهم ، أو دعهم. فقد تأثر كامو ببريتون ،و سارتر ، و سيمون دي بوفوار ، وفرنسيس يونج، فروایاته تنتقدهم و تحاكيهم ساخرة، و ليس المجال متاحا لدراسة عنصر لغوي بأكمله لأن هذا يصعب كثيرا .جميع القيم الفكرية المقموعة ، الأفكار الأخلاقية المنهزمة، دنس المال ، ما تعنيه كلمة وطن، عدالة واجب ، أصبح غريبا عنا .أصبحت معاني حق ،عدالة ، حرية معاني متناقضة ، هذا كله يعبر عن تدهور اللغة عبر الإيديولوجيا التي حكمت فيها قيم التبادل السوق و الإديولوجيا ، فعبرهما تحدث الثورات و الصراعات اللغوية.

يركز في تحليله لرواية الغريب على لغة الأربعينات ،و ليس اللغة عموما، لأن الرواية نشأت من الوضع الاجتماعي و اللغوي لتلك الحقبة .بين سارتر و يونغ تدهورت اللغة بفعل التسويق و الصراعات الإيديولوجية ، فبحثا عن لغة أخرى غير متواطئة مع الإيديولوجيا، يعبر من خلالها الفنان عن الطبيعة الصماء . ينبع هذا الفنان من الثورات الاجتماعية الجديدة، و الاكتشافات الإثنية الجديدة الحضارات الزنجية و البدائية ؛ بمعنى أنهما حاولا تخليص الخطاب من قوالبه الإيديولوجية الجاهزة. لقد انقادا معا نحو الشيوعية بدافع التمرد على شروط الحياة ،و لكنها كانت هي أيضا مفلسة ،أو متحايلة إيديولوجيا، و هو ما ذهب إليه سارتر في الغثيان . إن اللغة التي كتب بها "سارتر" ،و "يونغ" ،و "كامو" هي لغة لامبالية بالمعنى، لغة متشيئة كلماتها ليست إلا أشياء و وحدات صوتية متعارضة " بمعنى أن المعنى الإيديولوجي أصبح مبتذلا، يجب التركيز على عبارات و جمل تشير إلى الازدواج القيمي الذي يجمع بين قيم دلالية و ثقافية متعارضة ، ينتهي إلى توليد لامبالاة (تساوي) القيم "[20].

و انتهى ألى أنه يوجد عند "كامو" اتجاهين متكامين و متعارضين هما: تدهور اللغة بفعل قوانين السوق و الإيديولوجيا. و اللامبالاة الناتجة عن هذا التدهور، و هو يستخدمها كأداة نقدية

[20]-المرجع نفسه ،ص215.

ضد معاني الخطابات الإيديولوجية .يشير مثلا إلى مجتمع التجار ، و إلى الخطاب الماركسي الذي حول الحرية إلى عبودية .

أ-لهجة جماعية خطاب و تناص :

يحاول هنا التعرف إلى اللهجة الجماعية التي تستوعبها الرواية، و تنتقدها على مستوى التناص على اعتبار أن اللهجة هي الرباط الجامع بين الرواية و بنياتها ، و بين الوضع الاجتماعي الغوي "[21].

تظهر في الغريب هذه اللهجة في خطاب المحامي العام ،و هي لهجة إنسانية مسيحية " يجب إذن فهم الإيديولوجية الإنسانية المسيحية للمحامي العام باعتبارها خطابا نابعا من لهجة جماعية خاصة"[22].

تأتي رواية الغريب نقدا للإنسانية المسيحية بفعل ازدواجية القيمة ،و اللامبالاة، و التناقضات التي ظهرت على اللغة و الثقافة ، و بفعل عدم اعتراف الثقافة الرسمية بأزمة القيم ، ، و من ثنائياتها التقييمية خطاب النائب مثلا مبني على بعض الثنائيات: (خير /شر) ، ((طهارة /خطيئة) ،(حب /كراهية) في هذا الخطاب تظهر الذوات الفاعلة (الذات و الذات الضد- و الراسل و الراسل- و المساعد و المعارض – البطل الخير و البطل الشر).يظهر في هذا الخطاب ميرسو ممثلا للمبالاة " تجاه القيم الثقافية و الدلالية، و التي تمنعه من التصرف كذات مسئولة، و ادعائه أنه مرسل لسلطة الاجتماعية يلغيها الخطاب الإيديولوجي "[23].تظهر لامبالاته عند دفنه أمه ؛ فهو لم يظهر أي انفعال .كما تظهر هذه الامبالاة عند قتله للعربي بمنتهى البرود ، و بوعيه التام . و كامو إذ جعل بطله على هذه الشاكلة فإنه يؤكد على القص الرسمي، و ينطلق من التعارضات الدلالية للهجة الجماعية – المسيحية .

---

[21]-المرجع نفسه ،ص217.

[22]-المرجع نفسه ،ص217.

3-المرجع نفسه ،ص218.

الملاحظ أن خطاب المحامي يحدد معنى كلمات ميرسو ،و كأنه أدرك أن ميرسو يعترف بالدلالة الرسمية للعدالة " و يظهر البطل في خطاب العدالة كذات ضد مسؤولة عن برنامج سردي سلبي "[24].

تصبح الوحدات المعجمية عدالة ،حب ،شرف مشكوكا فيها. و تصبح التعارضات الدلالية (خير /شر) (حب /كراهية)اعتباطية و عارضة ." وسط هذه اللامبالاة اللغوية ، و العاطفية و الإيديولوجية على حد سواء يفقد خطاب المحامي العام مصداقيته ، و في سياق اللامبالاة يكتشف القارئ نفاقه و صفته التبريرية "يصبح للعدالة خطاب خاص بها مثل خطاب الماركسية يخدم مصالح جماعية اجتماعية معينة ، لا هي المسئولة عن إدانة ميرسو، و هي المسئولة عن هذه اللامبالاة يقول النائب العام عن ميرسو انه (دون روح و قلبه خال).إن اللامبالاة (فراغ القلب) تهدد نظام قيم مجتمع السوق ، لذلك أدين ميرسو من قبل هذه الإيديولوجيا (إيديولوجية العدالة النائب التي لم تسامحه).

ب- ازدواج دلالي و لامبالاة :

تظهر كلمة حب في الرواية، و كأنها أفرغت من محتواها الدلالي " لقد كفت عن أن تعني شيئا مثلها مثل كلمة المكملة لها كراهية ". ميرسو يقتل العربي دون أن يكرهه .و يقول أن جريمته كانت بسب الشمس. علاقته مع ماري " و بعد لحظة سألتني إن كنت أحبها أجبتها بأن هذا لا يعني شيئا و لكن يبدو لي أن لا ". علاقته بريمون، فالصداقة تجريد خال من المعنى " إنه سيان أن أكون رفيقه و أنه كان فعلا يبدو راغبا في ذلك ".لماذا لم يبك عند موت أمه إن ذلك كله هو " نتاج تطور اجتماعي و ثقافي و لغوي طويل أدى إلى وضع يتسم بإفراغ الكلمات،و القيم الانفعال و المؤسسات المقابلة لها من معانيها "[25].هذا كله نتيجة قوانين قيم السوق و الإيديولوجيات التي سادت في المجتمع

---

[24]-**المرجع نفسه ،2019.**

[25]- **المرجع نفسه ، ص221.**

الأوروبي في القرن العشرين حيث " تختزل التعارضات ، و يرتبط السامي بالوفي ، الجاد بالهزلي ، التراجيدي بالكوميدي "[26].

تعبر لامبالاة ميرسو بالازدواج الكرنفالي، و توضحه صفات ميرسو، فهو لا يمثل لا الخير و لاشر، إنه يختلف عن المجرم التقليدي الذي يعترف بخطيئته ، إنه ضد المسيح لأنه رافض قواعد الشفرة. اللامبالاة هي الظاهرة العامة للرواية، و الفرق بين ميرسو و بقية الشخصيات ، هو أنه يعي لامبالاته؛ بمعنى يحمل موضوعية جديدة نابعة من أزمة القيم و اللغة .

ج-لامبالاة و بنى سردية:

كيف يظهر تفكيك القاعدة الدلالية للتصنيف و الشفرة على مستوى البنية الفوقية السردية ؟

الوحدات التصنيفية حب ،عدالة كراهية، إخلاص ،خيانة .ميرسو لا يعترف بأية قيمة ثقافية ، و بالتالي فإن خطابه لم يتأسس على نظير دلالي للوحدات التصنيفية التي يقرها الخطاب السائد لذلك لم يختر البطل برنامج سردي واضح وصف بالاذات، تصبح لامبالاته مقولة سردية كإمكانية لتبادل البرامج السردية. إن وجود الذات ميرسو لا بد أن يستدعي ذات أخرى ، هي المرسل ، و هو في الغريب الطبيعة، الشمس و الماء .فالأولى ترمز للموت .و الثانية ترمز للحياة؛ بمعنى هنا تشيىء البنية السردية ؛ فيميرسو يتصرف باسم الطبيعة لا باسم الثقافة " و الموت و الحياة تشكل كلا مزدوجا و مختلف في نهاية الأمر عن وجهة نظر نظام القيم الاجتماعي "[27].

تظهر الطبيعة في رواية الغريب و كأنها تصوير أسطوري لقيمة التبادل، لذلك يمكن الانطلاق من ثنائية (طبيعة- ثقافة) لتعليل الصراع الإيديولوجي في هذه الرواية ، و لمعارضة القص

---

[26]-المرج نفسه ، ص222.

[27]-المرجع نفسه ،ص229.

التقليدي " الذي يسعى إلى فرض معنى لتطور الإنسانية و للقص الإيديولوجي عموما الذي يصور نفسه على أنه طبيعي و مطابق للواقع "[28].

انطلاقا من هذا التحليل فإن كامو رفض الماركسية ، لأنها تخضع الإنسان لقوانين خارجية للغائية التاريخية .إن الماركسية مثل خطاب النائب العام ذاتية و غائية تسعى إلى فرض ذاتية ما، برنامج سردي، و غائية على فرد لا يعرف إلا لامبالاة .و هدف الطبيعة .انه ينتقد الإنسانية المسيحية ،و يتغنى بالطبيعة و بالحياة ، و هو يتقاطع مع نيتشه ، ففكر الاثنين يتجه إلى العالم، و أن الحياة هي القيمة العليا بالنسبة إليهما.

[28]-المرجع نفسه ،ص234.